

obeyikandi.com

الباب الرابع

الإسلام ووسائل الإعلام

obeikandi.com

إن الإعلام بما فيه من وسائل يمكن أن توجه إلى نفع الإنسان، ويمكن أن توجه إلى ضرر الإنسان، ذلك أن وسائل الإعلام جميعها سلاح ذو حدين يمكن توجيهها لنفع أو ضرر للإنسان ولذلك نجد أن الإسلام وضع قواعد أساسية لتوجيه هذه الوسائل بما يساعد الإنسان على الترقى في مستواه الفكري والمعرفي .

فالإعلام بوسائله المختلفة واجهة حضارية للدولة، والدولة العاقلة لا تترك مثل هذا السلاح (الذو حدين) إلا واستغلته الاستغلال الذي يوضح فكرها وسياساتها للعالم أجمع .
لذلك سوف نتحدث - إن شاء الله - عن هذه الوسائل جميعها في ثوبها الإسلامي .

الفصل الأول الصحافة

إن الصحافة الإسلامية لها دور جليل في خدمة الإسلام وتوعية المسلمين بحقائق دينهم فهي تصحح الخطأ وتقوم المعوج وترشد إلى الطريق الصحيح وتكشف الفساد وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدل على الخير وتدعو إلى الحق وتنشر أحكام الإسلام وتحافظ على اللغة العربية في بلادها..

فالصحافة أداة ووسيلة تستخدم في الخير وتستخدم في الشر فهي سلاح ذو حدين كالسيف والسكين والقنبلة والطائرة والنار، هذه الوسائل قد تكون خيراً وبركةً وقد تكون شراً ونقمة، وذلك يتوقف على كيفية استخدامها والهدف من استخدامها فالسكين يستخدم في ذبح الحيوان ليأكله الإنسان ويتغذى من لحمه كما يستخدم في طعن إنسان وقتله - والقنبلة تستخدم في تمهيد طريق أو شق نفق أو إزالة جبل كما تستخدم في قتل الإنسان أو إبادة مدينة يسكنها .

كذلك الصحافة تستخدم الخير في خدمة الإسلام والمسلمين وتستخدم للشر في إفساد المسلمين وإبعادهم عن الإسلام .

فهي وسيلة مباحة وهامة ونافعة إذا استخدمت لصالح الإسلام، وهي وسيلة محرمة إذا استخدمت ضد الإسلام والمسلمين بطريقة لا يرضي عنها الإسلام مثلها في ذلك كمثل الشعر فمنه الحسن ومنه القبيح .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الشعر بمثلته الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام " ⁴¹¹ فالصحيفة والمجلة من الأسلحة ذات الحدين تستخدم للخير وتستخدم للشر، تستعمل للبناء وتستعمل للهدم .

فإذا كانت على مواصفات ترضي الله عز وجل فلا بأس في اقتنائها والاستفادة منها، وإلا فإن من يقتنيها يقع في الحرام والإثم وهو مسئول عما فعل .

فالإسلام لا يحارب وسائل الإعلام الحديثة ومنها الصحافة ولكن يحدد استعمالها في الخير لأن

⁴¹¹ . محمد بن إسماعيل البخاري - الأدب المفرد - القاهرة ط ٢ ص ٧٩ .

الوسيلة ليس فيها عيب إنما العيب في الإنسان الذي يستخدمها في غير ما يرضي الله تبارك وتعالى .

وإذا كنا نقول بالصحافة الإسلامية، فإن " إسلامية الصحافة " لا تتحقق إلا بوجود المحتوى الإسلامي للوسيلة، لأنها أداة قابلة للتشكيل بأي شكل تبعاً لمضمون الرسالة ولا تكون الصحافة إسلامية إلا إذا كانت المادة المنشورة بما إسلامية في المبادئ والأصول والأساليب والأهداف والاتجاه فلا بد من إتباع الشريعة الإسلامية والبعد عن الأهواء الإنسانية عند تحرير الصحيفة الإسلامية قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٤١٢} ، قال تعالى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾^{٤١٣} .

فالصحافة الإسلامية مطبوعات دورية تصدر في ثوب جميل بفنون التحرير الصحفي المختلفة في ضوء الإسلام .

الخبر الإسلامي :

وأهمية الخبر في الإسلام تعتمد على عدة أسس وتقاس بعدة أمور منها التعبير عن الاهتمامات الراقية وتحري الصدق والتقييم الصحيح من منطلق إسلامي ومراعاة النتائج والحرص على المفيد منها وعلى ذلك يستطيع الخبر القيام بعدة وظائف نافعة منها :-

- ١- ترقية اهتمامات المجتمع الإسلامي وحفزه على أعمال الفضيلة والخير .
 - ٢- المساهمة في إرساء قواعد التقييم على أساس تكريم المخلصين ونبذ المفسدين، وقبول الأعمال الصالحة ورفض الأعمال الضارة .
 - ٣- المساهمة في زيادة نسبة التنمية .
 - ٤- المساهمة في تأصيل الثقافة الإسلامية .
 - ٥- المساهمة في الترغيب في العمل الصالح والترهيب من العمل الفاسد .
 - ٦- المساهمة في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- فالخبر الإسلامي إذن : وصف صادق أو تقرير مثبت لحادث أو الواقع وتقاس أهميته بمدى فائدته وخيره وعائده .

412 . سورة الجاثية ١٨ .

413 . سورة الشورى ١٥ .

صفات الصحفي المسلم :

مهنة الصحافة مهنة إنسانية عظيمة والصحفي المسلم داعية إلى الله عز وجل ومن هنا لا بد أن تتوافر فيه عدة صفات تجعله يجمع الأنباء والأخبار وغيرها وينشرها في ضوء الإسلام ومن هذه الصفات الإخلاص والصدق والصبر، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾^{٤٤}، والصحافة لا بد أن تكون صحافة سائرة على طريق الأخلاق الإسلامية بعد التزامها بالعقيدة والشريعة الإسلامية فمن أعظم الأخلاق الإسلامية خلق الصدق، فالخير والمخير لا بد أن يكونا صادقين يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^{٤٥}، وأيضا : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾^{٤٦} ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " ^{٤٧} .

فصدق الصحافة الإسلامية شيء مهم جداً، فلا بد من صدق الخبر، فالخير أهميته في سلامة الرسالة وثقة الناس به فالخير الصادق واقعي لا يجور على الحقيقة .

ولذلك يرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى التثبت من الأنباء في قوله عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^{٤٨}

414 . سورة البينة آية رقم ٥ .

415 . سورة التوبة آية رقم ١١٩ .

416 . سورة محمد آية رقم ٢١ .

417 . متفق عليه .

418 . سورة الحجرات آية رقم ٦ .

الفصل الثاني

الغن في الإسلام

إن الخلاف الناشب بين فقهاء الإسلام حول إباحة أو منع الغناء والموسيقى والرسم والنحت والتصوير - وهي من أبرز الفنون الجمالية التي عرفها الإنسان في تطوره الحضاري - خلاف قديم وشهير وهناك العديد من المآثورات، وملابساتها، وصحتها - رواية ودراية - وحول اتساق بعضها مع البعض الآخر، دارت وتدور أغلب آراء المختلفين في هذا المقام، ولذلك فإن الوصول في هذا الأمر إلى رأى نظمتن إليه، يقودنا إلى كلمة سواء، يدعوننا إلى أن ننظر نظرة فاحصة ومقارنة ونقدية إلى هذه المآثورات وبادئ ذي بدء فنحن يازاء :

أ- وقائع حدثت في عصر البعثة، وفي بيت النبوة والمسجد النبوي، وبيوت الصحابة وهي مما يدخل في " السنة العملية " والممارسة التطبيقية للمنهج النبوي أي أنها " شواهد مادية " تعلن عن إباحة الغناء ... وتفيد أيضا - بأن اجتهادات مخالفة قد حدثت أثناء هذه التطبيقات والسنة العملية، أراد أصحابها - وهم صحابة أجلاء - منع الغناء، لكن رسول الله أقر الغناء ونبه أصحاب هذه الاجتهادات على خطئها وخطئهم فيها ..

ب- أحد عشر مأثورا من الأحاديث تفيد منع الغناء والنهي عنه وتوعد المغنين والسامعين ...
ج- تفسير عدد من مفسري القرآن الكريم للمراد " باللهو " في الآية القرآنية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^{٤٩} على أنه هو الغناء ... تلك هي المآثورات .. والسنة العملية .. والتفسيرات التي جاءت في الغناء والأدوات الموسيقية المصاحبة له .. والتي دار بسببها ومن حولها خلاف الفقهاء حول موقف الإسلام من حكم الغناء، وموقف المسلمين من هذا الفن .. فمن السنة العملية التي رويت في إباحة الغناء ثلاث مرويات، شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الغناء في اثنتين منها، ولم يقف موقفه منه عند إقراره فقط، وإنما خطأ من اجتهد لمنعه .. أما المروية الثالثة فكان شهود الغناء فيها بعض الصحابة، الذين خطئوا من اجتهد لمنعه، وقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رخص فيه، فهو مباح .

419 . سورة لقمان آية ٦

فغن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث^{٤٢٠} فاضطجع على الفراش، وحول وجهه . فدخل أبو بكر فانتهرني، وقال : مزار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فأقبل عليه رسول الله فقال : " دعهما، فلما غفل - (أي أبو بكر) - غمزتهما فخرجتا^{٤٢١} .

فحن أمام سنة عملية، أقر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الغناء، في بيت النبوة، من فتاتين غنتا بأشعار تتحدث عن ذكريات وقائع الحرب في التاريخ .. وعندما اعترض الصديق أبو بكر - مجتهدا في المنع - اعترض الرسول على هذا الاجتهاد - مؤكدا الإباحة - ولم يطعن أحد من علماء الجرح والتعديل في أحد من رواة هذا الحديث ...

وعن عائشة رضي الله عنها وفي ذات الحديث تكملة تروى أحداث واقعة ثانية لسنة عملية أخرى في هذا الموضوع .. تقول رضي الله عنها : " وكان يوم عيد، يلعب السودان - الحبشة - بالدرق^{٤٢٢} والخراب، في المسجد، فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال : " تشتبهن تنظرين ؟ " فقلت : نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، يسترني بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون . فزجرهم عمر، فقال النبي : " أمنأ بني أرفدة .. دونكم بني أرفدة " ^{٤٢٣} حتى إذا مللت، قال : " حسبك ؟ " قلت : نعم، قال " فاذهبي ."

فهنا أيضا سنة عملية أقرت اللعب (التمثيل) - المصحوب بالغناء، ففي بعض الروايات أنهم كانوا يغنون شعرا يقول :

يا أيها الضيف المعرج طارقا
لولا مررت بآل عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم
منعوك من جهد ومن إقتار^{٤٢٤}
وعندما اجتهد عمر بن الخطاب في المنع، عارضه الرسول صلى الله عليه وسلم مقرأ الإباحة ومؤكدا لها ...

420 . بعث حصن للأوس ويوم بعث وقعة من وقائع الجاهلية كانت بين الأوس والخزرج انتصر فيها الأوس .

421 . رواه البخاري ومسلم وابن ماجه . - (وتحويل الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه، هو عن رؤية المغنيات، وليس عن السماع، فأداته الأذن) .

422 . الدرقة : الترس من جلود، ليس فيه خشب ولا عقب .

423 . أي أعطاهم الأمان ضد زجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم . (و دونكم بني أرفدة) : تشجيع علي مواصلة اللعب، أي عليكم باللعب الذي أنتم فيه ..

424 . أخرج هذه الرواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك .

أما المأثورة الثالثة : فعن عامر بن سعيد، قال : " دخلت على قرظة بن كعب، وأبي مسعود الأنصاري، في عرس، وإذا جوار يغنين فقلت : أنتم أصحاب رسول الله، وأهل بدر، يفعل هذا عندكم؟! .. فقالوا : إن شئت فاجلس واستمع معنا، وإن شئت فاذهب ! فقد رخص لنا في اللهو عند العرس " ٢٥

فهذه المأثورة تتحدث عن لهُو بالغناء في عرس، شهده صحابة بدريون، فلما اعترض أحد الصحابة - مجتهدا في منع - أخبروه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " قد رخص لنا في اللهو عند العرس " ، ففي هذه المأثورات الثلاث ما يشهد بإباحة هذا اللهُو - الغناء والمصحوب بعضه بالتمثيل - وبتخطئة الاجتهاد الذي أراد أصحابه منعه .

وغير هذه المأثورات الثلاث، التي أكدت الإباحة بتخطئة اجتهادات المنع، هناك الأحاديث الكثيرة التي تؤكد على الإباحة وتتحدث عن الفكر الشاهد لها وعليها ..

فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عائشة، ما كان معكم لهُو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهُو " .

وفي رواية ثانية لهذه الواقعة : أنكحت عائشة ذات قرابة لها رجلا من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا عائشة، أتعرفين هذه ؟ " قالت : لا، يا نبي الله قال : " قينة بني فلان، تحبين أن تغنيك ؟

" فغنتها ... " .

تلك هي مأثورات السنة النبوية وأغلبها وقائع " سنة عملية " - الشهادة على إباحة هذه الفنون الجميلة - غناء وتمثيلا - وهى المأثورات التي أقرت الإباحة وأكدتها في مواجهة الاجتهاد في المنع، فخطأت هذا الاجتهاد .. أما وقائع وروايات السنة العملية التي تحدثت عن الغناء في مجتمع الصدر الأول، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون أن يكون هناك جدل ولا اجتهاد يمنع منه، فإنها كثيرة جدا في كتب السيرة والحديث . ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

عندما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا، فرح أهلها - كانوا ينتظرون مقدمة لعدة أيام .. حتى ليروى البراء بن عازب فيقول : ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ كفرحهم برسول الله، وصعدت دوات الخدور على الأسطحة من قدومه يقلن :

425 . رواه النسائي .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

أما جوارى - (فتيات) - بني النجار، فلقد خرجن إليه صلى الله عليه وسلم عندما بركت ناقته بباب أبي أيوب الأنصاري - من مالك بن النجار - خرجن يضربن بالدفوف ويغنين :
نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار
فقال لمن صلى الله عليه وسلم :

" أتجبنى ؟ "

- قلن : نعم، يا رسول الله

- فقال : " الله اعلم أن قلبي يحبكم "

وعندما شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد أن استقر بالمدينة - في بناء المسجد، كان يحمل - مع الصحابة - الطوب اللبن، مشاركا في البناء .. وخلال العمل، كان ينشد مترنما :

هذا الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر
ومن الصحابة من كان - أثناء ذلك - يغنى أغاني العمل، فيقول البعض منهم :
لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذن للعمل المضلل
وكان آخرون يترنمون :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعداً

ومن يرى عن التراب حائدا^{٤٢٦}

ولقد صنع ذلك الأشعريون - قوم أبي موسى الأشعري - عندما قدموا إلى المدينة .. فعن أنس بن مالك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقدم عليكم غداً أقوام هم أرق قلوبا بالإسلام منكم : قال : فقدم الأشعريون - فيهم أبو موسى الأشعري - فلما دنوا من المدينة وجعلوا يرتجزون يقولون :

غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه

وحديث آخر يحكى كيف شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم " ندب " الجوارى، على أنغام

⁴²⁶ . انظر ذلك في الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ج٤ ص ١٧٨ - ١٨٣، طبعة بيروت سنة ١٩٧٧ م .
والغزالي إحياء علوم الدين ص ١١٣٠ طبعة دار الشعب . القاهرة .

الدفوف تذكر بالأبطال الشهداء في وقائع الإسلام!.. فعن أبي حسين، قال : كان يوم لأهل المدينة يلعبون، فدخلت على الربيع بنت معوذ بن عفراء فقالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده موضع فراشي هذا، وعندي جاريتان تندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر تضربان الدفوف فقلنا فيما تقولان :

وفينا نبي يعلم ما يكون في غد

فقال صلى الله عليه وسلم : " أما هذا فلا تقولاه، ولا يعلم ما في الغد إلا الله عز وجل، تلك بعض من مآثورات السنة النبوية - وأغلبها وقائع " سنة عملية " - الشاهدة على إباحة الغناء، وما صاحبه من فنون مساعدة ...

أما المآثورات التي منعت الغناء وهمت عنه وحذرت منه ومن سماعه، فإنها تبلغ اثنتي عشرة مآثورة، ما بين حديث، أو تفسير " للهو " في الآية الكريمة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ تفسير " اللهو " بأن المراد به الغناء ..

وأحد هذه الأحاديث مروى عن عائشة رضي الله عنها - التي أوردنا رواياتها للعديد من الأحاديث الشاهدة على حل الغناء! _ وفيه تقول : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أن الله حرم المغنية - (وفي رواية : القينة) - وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها " ٤٢٧ .

ولقد تتبع الإمام ابن حزم الأندلسي - (٣٨٤-٤٥٦ هـ) (٩٩٤-١٠٦٤ م) - وهو من هو - كظاهري في الالتزام بالسنة، وهو من هو في نقد الرجال والروايات - تتبع هذه المآثورات، فعرض روايتها على ما استقرت عليه قواعد الجرح والتعديل للرواة، فخلص إلى أن هذه الأحاديث جميعها معلولة .. فقال : " وكل هذا لا يصح منه شيء، وهي موضوعة " ولقد اتفق معه في هذا النقد لهؤلاء الرواة كثيرون من المحدثين والحفاظ وعلماء الرجال .. من مثل الذهبي - صاحب (ميزان الاعتدال) - وابن حجر العسقلاني - صاحب (لسان الميزان) .. وكنموذج على هذا النقد لرواة هذه الأحاديث، ما قاله عن رواية حديث عائشة هذا، فقد قال : إن في روايته " سعد بن أبي رزين، عن أخيه، وكلاهما لا يدرى أحد من هما " ! .. وغيرهما من رواة هذه الأحاديث : " ضعاف .. ورواة .. ومجهولون .. ورواة لمعضلات " .. إلى آخر عوامل الضعف والتجريح التي تقدر في صحة هذه المآثورات ...

427 . رواه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف . وقال البيهقي : ليس بمحفوظ .

• أما التفسير المنسوب إلى عدد من أئمة المفسرين للقرآن الكريم، والقائل أن المراد باللغو في الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ هو الغناء، فضلا عما في هذا التفسير من تعارض مع الأحاديث النبوية الصحيحة التي جاء فيها الكلام عن الغناء المباح باسم اللغو : " ما كان معكم لهُوَ فَإِنِ الْأَنْصَارُ يَعَجِبُهُمُ اللَّهُ " ... " قد رخص لنا في اللغو عند العرس " فإن ابن حزم يراه مجرد تفسير مفسرين، ممن لا يقوم بقوله حجة، وما كان هكذا فلا يجوز القول به ولقد خالص ابن حزم _ بعد النقد لهذه المرويات _ إلى القول :

• " فَإِنِ قَالَ قَائِلٌ : قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ ﴾ ٤٢٨ ففي أي ذلك يقع الغناء ؟ (أي : هو من الحق، أم الضلال ؟) .

ثم أجاب عن موقع الغناء، قائلا : " أنه يقع حيث يقع الترويح في البساتين، وصبغ ألوان الثياب، وكل ما هو من اللغو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فإذا نوى المرء بذلك ترويح نفسه وإجتماعها لتقوى على طاعة الله عز وجل، فما أتى ضلالا .. " ٤٢٩ .

فهو - إذن - بعض من ألوان الجمال الذي خلقه الله، ومعيار الحل والحمة فيه هو " وظيفته " التي يوظف فيها، فإن أسهم في ترقية السلوك الإنساني، وأعان على تذوق نعم الله والكشف عن آيات الجمال في إبداعه كان خيرا .. وإلا فهو منكر بلا خلاف ... تلك هي شهادة ابن حزم في هذه القضية الخلافية ...

وتلك هي قصة المنهج الإسلامي مع " شبهة " الخصام بينه وبين فن الغناء والسماع .. وهي قصة تؤكد اتساق موقف هذا المنهج الساعي إلى تنمية الحواس الجمالية في الإنسان ؛ ليوم سعيه على درب الاكتشاف لما أودع الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال .

أما آلات العزف - الموسيقى - فإن الأحاديث التي وردت في منعها أو تحريمها، هي الأخرى معلولة، بمقاييس علم الجرح والتعديل، كنماذج لهذه الحقيقة :

• حديث عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرني ربي - عز وجل - بنفي الطنبور

428 . سورة يونس آية رقم ٣٢ .

429 . انظر آراء ابن حزم في هذا الموضوع برسائله التي أفرد لها وهي (رسالة في الغناء الملهي، أمباح أم محظور ؟) ص ٤٣٠ - ٤٣٩ - منشورة في الجزء الأول من (رسائل ابن حزم الأندلسي) تحقيق ودراسة : د . إحسان عباس . طبعة بيروت سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م - وفي نهاية هذه الرسالة ما يفيد أنها عرضت على الإمام الفقيه الحافظ أبي عمر بن عبد البر، فنظر فيها، ولما سئل عن رأيه فيما جاء بها قال : " وجدتها فلم أجد ما أزيد فيها وما أنقص " .

والمزمارة " رواه إبراهيم بن اليسع بن الأشعث المكي .. والنسائي يقول عنه : إنه " ضعيف " أما البخاري فإنه يقول : إنه " منكر الحديث "

وحديث علي بن أبي طالب : " نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدف ولعب الصنج وصوت الزمارة " ...

وفي رواته عبد الله بن ميمون، عن مطر بن سالم .. والأول " ذاهب الحديث "، والثاني " شبه مجهول " ...

وحديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : صوت مزمار عند نعمة، وصوت ندبة - (أو رنة) - عند مصيبة " وفي رواته : محمد بن زياد الطحان البشكري، الذي يقول فيه أحمد بن حنبل : " أعور كذاب خبيث يضع الحديث ! " • وحديث علي بن أبي طالب عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " بعثني ربي عز وجل بمحق المزامير والمعازف، والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية، والخمر، وأقسم ربي عز وجل بعزته ألا يشربها عبد في الدنيا "

رواة هذا الحديث : محمد بن الفرات، عن أبي إسحاق الاسياعي، عن الحارث الأعور وجميعهم مجرحون .. فالأول منهم يقول عنه أبو بكر بن أبي شيبة : أنه " شيخ كذاب " .. والثالث قال فيه البخاري : إنه " منكر الحديث " .. وقال عنه يحيى بن معين : " ليس بشيء ولا يكتب حديثه " ولقد قال الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر (٤٤٨-٥٠٧هـ / ١٠٥٦-١١١٣م) في هذه الأحاديث وأمثالها احتج بها من أذكر السماع، جهلا منهم بصناعة علم الحديث ومعرفته، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثا مكتوبا في كتاب جعله لنفسه مذهبا، واحتج به على مخالفة، وهذا غلط عظيم، بل جهل جسيم " ٤٣٠ .

أما الذين حاولوا تخريج دلالات الأحاديث الصحيحة، التي جاءت في إباحة السماع، حتى لا تشهد للإباحة - ومنهم الإمام ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ / ١٢٦٣-١٣٢٨م) الذي فسر حضور النبي صلى الله عليه وسلم مجلس غناء الجاريتين في بيت عائشة، وإنكاره على أبي بكر منعهما من الغناء، فسر ابن تيمية موقف الرسول بأنه كان " يسمع " ولا " يستمع " فإن محاولته هذه هي نموذج للتخرجات البادية التمثل والتكلف، والتي لا يمكن لمثلها أن توهم من حجج الذين يبيحون السماع ...

430 . انظر : النويري (نهاية الأرب)، ج ٤، ص ١٤٧ - ١٦٠ .

أما ابن حزم فإنه يستدل على إباحة الآلات الموسيقية بكونها مالا حلالا في نظر أبي حنيفة (٨٠-١٥٠هـ / ٦٩٩ - ٧٦٧ م) الذي قال : " من سرق مزماراً أو عوداً قطعت يده، ومن كسرهما ضمنهما، إذ لو كانت محرمة لكانت هدرا، كالخمر، وأدوات الميسر، وغيرها من المحرمات ... ولما لم تكن كذلك، فإنها مال حلال، له حرمة، من سرقه يقطع، ومن أتلفه يضمن .. إذ الأصل في الأشياء هو الحل، ما لم يرد نص بالتحريم .

أما الإمام الغزالي - والذي عرض للسمع، غناء وموسيقى، بدراسة مسهبة - فإنه يجمل الموقف الإسلامي المتحاز إلى الاستماع للحلال بالجماليات الحلال - غناء وموسيقى، عندما يرى ذلك فطرة إنسانية يزيكها الإسلام، الذي ينكر التجهم والخصام مع جماليات الحياة .. فيقول ... ومن لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج ! ... ومن لم يحركه الإسماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور، وبل على جميع البهائم ! فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة

الصور :

أما " خصام " المنهج الإسلامي مع " فنون التشكيل " رسما ونحتا وتصويرا - الذي يحسبه الكثيرون خصاما حقيقيا .. فإن هذا الحسبان - هو الآخر - ليس أكثر من وهم من الأوهام ! وسيلنا إلي إزالة هذا الوهم، ونفي هذا الخصام، هو النظر في المصادر النقية والجوهرية لهذا المنهج - القرآن والسنة - ثم الاستئناس بآراء واجتهادات بعض الفقهاء - القدماء والمحدثين - في هذا الموضوع ... وذلك وصولا إلى جلاء الموقف الحقيقي للمنهج الإسلامي من فنون الرسم والنحت والتصوير .

في القرآن الكريم :

بادئ ذي بدء .. فإن القرآن الكريم لم يتخذ من التصوير للأحياء موقفا معاديا بالإطلاق وتعميم ... بل لقد أناط الأمر بالمقاصد والغايات والنتائج والثمرات .. فإذا كانت الصور والتمائيل وسائل للشرك بالله، وسبلا ينحرف البعض بتعظيمها عن عقيدة التوحيد، كان الرفض لها والتحریم لصنعها هو موقف القرآن .. أما إذا كانت مجرد الزينة والتجمل والجمال عند الإنسان، كذلك إذا كانت لتخليد القيم والمعاني والمآثر الطيبة والجميلة ... الخ فإنها عندئذ تصبح من الطيبات المباحة، بل المقصودة المرغوبة، باعتبارها من نعم الله على الإنسان !

ولقد عرض القرآن الكريم للحديث عن " التماثيل " صراحة وبالنص - في مواطن ثلاثة ..
جاء حديثه عنها في أحد هذه المواطن حديث الرافض الخرم .. وفي الثاني حديث العاد لها من
نعم الله على الإنسان، وفي الثالث حديث العاد لها معجزة لبي من أنبياء الله !

ففي سورة " الأنبياء " وبصدد الحديث عن قوم إبراهيم عليه السلام أولئك الذين اتخذوا
التماثيل أصناما عبدوها من دون الله، جاء حديث القرآن معاديا لهذه التماثيل، ومن ثم -
بالتبعية - لصناعتها عندما تستهدف هذا الشرك بالله ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا
عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
* قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ ٤٣١ ﴾ ،
ولم يقف الموقف القرآني من هذه " التماثيل " عند حد التسفيه بالقول والحجة والمنطق بل أراد
الله لنبيه إبراهيم أن يحطم هذه " التماثيل " ويمحور وجود هذه الأصنام ... فاستمر سياق
القرآن يتحدث عن قول إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَنِ الْأَنْفُسِ أَلَسْتُمْ بِالَّذِينَ
مُذَّبَرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿ وما صنعه إبراهيم مع " التماثيل
" المعبودة، هو ما صنعه خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم عندما طهر شبه الجزيرة
العربية من كل أثر لها، وأذن في الناس - يومئذ - وهو يحطمها، قاتلا : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿ ٤٣٢ ﴾ .

أما الوطن الثاني الذي عرض فيه القرآن - باللفظ - للحديث عن التماثيل، فكان في معرض
تعداد نعم الله سبحانه على نبيه سليمان - عليه السلام - فلقد ذكر القرآن " التماثيل " ،
وصنعها وصانعيها باعتبارها من نعم الله على نبيه سليمان ... فهو قد سخر له الريح ... وأتاح
له عينا تفيض بالنحاس المذاب (القطر) .. وسخر له بعضا من زينة الحياة الدنيا وجمالها : بيوتا
عالية (محاريب) وحفرا كبيرة (جفان) ... وقدورا راسيات ... وأيضا " تماثيل " من زجاج
ونحاس ورخام، تصور الأحياء، بل وتصور الأنبياء والعلماء ! - كما يقول المفسرون ٤٣٣ ...
﴿ وَسُلَيْمَانَ الريحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

431 . سورة الأنبياء ٥٦: ٥١ .

432 . سورة الإسراء ٨١ .

433 . القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، ج ٤ .

يَدِيهِ يَأْذَنُ رَبَّهُ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿٣٤﴾ فالتماثيل هنا - وعند انتفاء مظنة عبادتها - هي من نعم الله على الإنسان، وعاملها وصانعها إنما يعملها (ياذن ربه) وعلى الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة مقابلتها بالشكر لله - وأحد مظاهره: اكتشاف ما فيها من جمال

أما الموطن الثالث - الذي ورد فيه حديث القرآن عن تماثيل الأحياء - فذلك الذي جاء فيه الحديث عن معجزات نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهَا فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنشِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّحْرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ وقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ الدِّينِ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ ﴿٣٦﴾ فهي هنا، وحيث لا مظنة للشرك، ولا خطر على التوحيد: آية من آيات الله ونعمة من نعمه على عيسى عليه السلام.

إذن ... فموقف القرآن الكريم من التصوير والتماثيل للأحياء، ليس عاما، وليس مطلقا .. فحيثما تكون سبيلا للشرك بالله - شركا جليا أو خفيا - فهي حرام، والواجب تحطيمها .. أما عندما تنتفي مظنة عبادتها وتعظيمها والشرك بواسطتها فهي عندئذ من نعم الله، التي يجب على الإنسان أن يقصد إليها، وأن يتخذ منها سبيلا لترقية حسه وتجميل حياته، وتركيب القيم الطيبة وتخليدها ...

هذا عن موقف القرآن الكريم من فنون التشكيل ...

بل إننا إذا نظرنا في البلاغ القرآني وأمعا النظر في أساليبه في التعبير عن المعاني التي يريد الله إبلاغها إلى العالمين، فسنجد في هذه الأساليب السبل والوسائل والأدوات التي يعتمد عليها القرآن لتنمية الحاسة الجمالية لدى الناظر في القرآن الكريم ...

434 . سورة سبأ ١٢، ١٣ .

435 . سورة آل عمران ٤٨، ٤٩ .

436 . سورة المائدة ١١٠ .

إن بلاغة القرآن هي بعض من إعجازه، وهذه الحقيقة لا يمكن إدراكها ووعيتها، ومن ثم الإيمان بها إلا من قوم قد ارتقت بهم الحاسة الفنية إلى حيث يدركون ما في هذا الكتاب من أسرار الإعجاز وفنون البيان... فالإيمان بالإعجاز القرآني مرهون بازدهار الحاسة الفنية لدى المسلم، وبتحويل هذه الحاسة إلى قسمة ملحوظة في الحضارة الإسلامية، ومن ثم فإن البداة قاضية بأن يكون القرآن داعياً يزكى تنمية الحاسة الفنية لدى المسلمين .

وإذا انتقلنا في هذه القضية - من مجال التعميم إلى ميدان الدراسة الواقعية رأينا كيف امتلأت سور القرآن الكريم بما نسميه في الدراسات الأدبية والفنية بـ " التعبير بالصور " أي رسم الصور الحسية كي تعبر بها آياته عن المقولات والمعاني والأفكار .. فنحن - في القرآن - أمام " لوحات " تعبر بالصور المرئية والمحسوسة عن المعاني والأفكار والمعقولات، أي أمام " التمثيل " و " التصوير " ...!

● فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الذين كفروا، فأحبط الكفر أعمالهم، وأضاع الأثمار المرجوة من مثلها، نجد " يمثل " هذه " الفكرة " فيعرضها في " صور " محسوسة، و" يرسمها " في لوحات فنية تراها العين عندما ينطق بكلماتها اللسان .. فأعمال هؤلاء الكفار : رماد هبت عليه الريح العاصفة، فلم تبق منه لأصحابه كثيراً ولا قليلاً ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾^{٤٣٧} .

ولوحة فنية أخرى يصور فيها القرآن الكريم هؤلاء الكافرين الذين جعلهم تنكبهم عن الحق ودعوته وأهله وهديه بمثابة الأصم البكم المعطلة ملكاتهم العقلية، أما ما يهدون به فليس إلا النعيق ... ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^{٤٣٨} .

أما اليهود الذين حولوا كتابهم - التوراة - إلى " شكل " غريب غاب من ساحتهم ما به من " مضمون " فإنهم كمثل الحمار يحمل الكتب الثقيلة الكثيرة دون أن يدري من مضمونها شيئاً، أو ينفع بقليل من هذا المضمون ! .. ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

437 . سورة إبراهيم ١٨ .

438 . سورة البقرة ١٧١ .

يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا آيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣٩﴾ .
 أما ذلك البائس الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها بدلا من أن يلتزمها ويهتدي بها، فإن الغواية
 قد أصابته بيؤس جعل منه الكلب اللاهث في كل الحالات : ﴿ وَاثِلٌ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ
 آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
 الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا آيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٤٠﴾

• وطلاب الحياة الدنيا ... أولئك الذين يقفون منها عند حدود اللعب واللهو والزينة والتفاخر
 بما لا يستقر ولا يثبت ولا يدوم .. يرسم القرآن الكريم لهم ولما اختاروه ووقفوا عنده لوحات
 تجسد لهم الضياع الذي اختاروا والبيؤس الذي ينتظرهم انتظار المصير .. فهذا النبات الذي
 جادت به الصحراء بعد أن زارها المطر، سرعان ما تصببه الصفرة، ثم يصبح حطاما ..
 ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ
 غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ﴿٤٤١﴾ ، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ ﴿٤٤٢﴾ ، ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا
 أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
 نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٤٣﴾ .

نعم كذلك يفصل الله الآيات، كذلك يصور القرآن الأفكار فيحيل المعقولات إلى صور
 محسوسة تعرضها آياته الكريمة في لوحات .

• وأما أولئك الذين يفسدون ثمرات إنفاقهم الأموال بالرياء والسمة والتفاخر، عندما يجعلونها
 المقاصد والغايات وراء الإنفاق، فإن إنفاقهم هذا تراب وغبار غطى سطح جبل صخري أملس،

439 . سورة الجمعة ٥ .

440 . سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦ .

441 . سورة الحديد ٢٠ .

442 . سورة الكهف ٤٥ .

443 . سورة يونس ٢٤ .

فالنظر إليه يحسبه ترابا، لكن وابل المطر سرعان ما يعرى الزيف ويكشف الصلد ويذهب بثمرات الإنفاق الذي لم يقصد به وجه الله .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُبْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^{٤٤} أما إذا كان الإنفاق في سبيل الخير ومصالح الأمة وابتغاء مرضاة الله، كما هو الواجب، وكما هو شأن المؤمنين، فإن ثمراته تبقى، بل تزدهر وتتضاعف .. ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^{٤٥} لوحتان تجسدان الأفكار والمعاني والمعقولات بالصور المرئية والحسوسة، تعرضهما الآيتان المتتابعتان : فالتراب الذي يعلو الصخر الأملس سرعان ما يذهب به المطر بينما يسبب هذا المطر النماء للحديقة التي تعلو الربوة فتؤتي أكلها ضعفين، فشتان ما بين الربوتين المتقابلين، عندما يتزل المطر عليهما فتتحول إحدهما إلى صخرة جرداء بينما تصبح الثانية جنة غناء ..

* والكلمة .. الفكرة .. كثيرا ما تتحول في آيات القرآن الكريم - بالتمثيل - إلى صورة محسوسة، ينمي إبداعها الحاسة الفنية للمتدبرين المتفكرين، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^{٤٦}

وفي مقابل هذه الشجرة ذات الأصل الثابت الراسخ، والفروع السامقة في السماء، والتي تعطى طيب العطاء في كل الأحيان .. في مقابلها، وعلى الضد منها، صورة الكلمة الخبيثة ... ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾^{٤٧} .

هكذا وعلى هذا النحو تتناثر في القرآن الكريم تلك " الصور" التي تجسد الأفكار وترسم المعقولات وتحول المعاني إلى لوحات فنية تقرأ باللسان، وترى بالبصيرة، وترتسم في الخيلة .. وتكاد أن تلمسها الحواس التي تستشعر جمال إعجاز القرآن الكريم .. وهكذا تتحالف هذه السبل من التعبير

444 . سورة البقرة ٢٦٤ .

445 . سورة البقرة ٢٦٥ .

446 . سورة إبراهيم ٢٤، ٢٥ .

447 . سورة إبراهيم ٢٦ .

الجمالي والتربية الجمالية، مع صريح موقف القرآن من التماثيل، كنشاط جمالي، على بيان الموقف الحقيقي للقرآن الكريم من فنون التشكيل الجمالي - رسماً ونحتاً وتصويراً وهو الموقف الذي يرى فيها نعمة من نعم الله وآية من آياته، إذا أمن الناس الشرك والتعظيم لغير الله .

والسنة النبوية :

أما موقف السنة النبوية .. فهو الذي يحتاج إلى التفصيل والتفسير والمقارنات وذلك لان أغلب " أدلة " الذين اصطنعوا " الخصومة " بين المنهج الإسلامي وبين هذه الفنون، كانت أحاديث نبوية، استند إليها الفقهاء الذين قالوا بالتحريم لهذه الفنون ... فلقد انطلق عدد من العلماء الذين حرّموا الرسم والنحت والتصوير من ظاهر نصوص عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، ليقولوا : إن السنة النبوية قد حرمت الصور والتماثيل للأحياء - حيوانات كانت أو إنسانا - وأنها بذلك قد نسخت الإباحة التي كانت لها في شريعة النبي سليمان عليه السلام ... وحتى إذا سلمنا بالقول بالنسخ - وكثيرون ينكرونه - فإننا سنجد أن علة حدوث هذا النسخ هي : تحول الصور والتماثيل - في الواقع الذي ظهر فيه الإسلام - إلى معبودات، كما كانت حالها لدى قوم إبراهيم عليه السلام وهو ما لم تكنه زمن نبوة سليمان .. وإذا كانت الأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما، فإن التحريم للتماثيل والصور سيصبح - بداهة - مرهونا ومشروطا ومعللا بمظنة اتخاذها أندادا تشارك الله في الإلهوية والتعظيم، فإذا ما انتفى هذا السبب وزالت هذه المظنة انتفى التحريم، وعادت الإباحة حكما للصور والتماثيل، من جديد ..

كما أن " النظرة الشاملة " وأيضاً " الاستقرائية " للأحاديث النبوية التي رويت في " الصور والتماثيل " تؤكد هذا الذي نذهب إليه، وتقطع بأن التحريم مرهون ومشروط ومعلل بكون الصور والتماثيل مظنة العبادة والإشراك بالله، كما أنها تفصح عن أن هذه الأحاديث التي تنهى عن " الصور والتماثيل " وإنما كانت تعالج شئون جماعة بشرية هي قريية عهد بالشرك والوثنية، وحديثة عهد بالتوحيد الإسلامي، وأن توحيدها لله - سبحانه - قد خرج بها من هذه الحالة خروج الدواء بالمريض من مرحلة العلة إلى بدايات طريق الشفاء .. فهي قد خرجت من الوثنية وعبادة الصور والتماثيل، لكنها كانت لا تزال في " دور النقاهة "، الأمر الذي استدعى تركيز الأحاديث النبوية على النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل، سدا للذرائع، وتقديما لدفع المضرة على جلب المصلحة - وهي قواعد تشريعية إسلامية - وذلك كيلا تعود هذه الجماعة إلى مرض الوثنية والشرك من جديد !..

وإذا كان ضبط المصطلحات هو مما يعين على دقة الفهم وجللاء القضية، فإن من الواجب أن ننبه على أن

" الصورة " في الأحاديث النبوية التي عرضت لهذه القضية إنما يراد بها " الصنم والوثن المعبود " من قبل المشركين .. فلم يكن بمكة أو المدينة، أو البوادي من حولهما - يومئذ " حركة فنية " تصور بالألوان، أو بآلات التصوير ... كانت الصورة هي " الصنم والوثن " ينحت نحتاً أو يرسم بالنسيج على النسيج أو بالرسم أو بالحفر على الجدران، والأثاث، ومن هنا فإن النهي عن "الصور" وذم "المصورين" هو حديث عن "الأصنام والأوثان" وعن الذين يحترفون صناعة هذه "الأصنام والأوثان" وليس حديثاً عن "الصور" و "المصورين"، بالمعنى الذي يراد اليوم عند الحديث عن فنون التشكيل وفنانيها! .. يشهد لهذه الحقيقة الهامة المقارنة بين حديثين شريفيين ورد فيهما مصطلح " الصور "، ويفسر ثانيهما الأول على النحو الذي يضبط معنى هذا المصطلح ضبطاً لا سبيل معه إلى التجاوز أو الإبهام ..

ففي الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الذين يصنعون هذه الصور يعذبون، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم " ... _ رواه أحمد _ أما الضبط لمعنى " الصورة " على النحو الذي أشرنا إليه، فإننا واجدوه في الحديث الذي يرويه أبو هريرة، والذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم متحدثاً عن خير الناس يوم القيامة : " يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، ثم يقال : ألا تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون ؟ فيتمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب الصورة صورته، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون ... " رواه البخاري _ فالأمة التي انحرفت عن التوحيد في الإلوهية والربوبية، قد تمثلت لها معبوداتها ... الصليب لعباد الصليب .. والصور = أي الأصنام - للوثنيين .. والنار للمجوس .. فالصورة - إذن - هي " الصنم والوثن " المعبود - للمشركين - من دون الله ... وليست تلك التي تعارف عليها اليوم عندما نتحدث عن "الصور" وعن "المصورين" ..

وثانية الحقائق التي يجب التنبيه عليها ونحن مقدمون على استعراض المآثورات والأحاديث النبوية التي رويت في هذا الموضوع، هي وجوب الاستحضار والتدبر للمناخ والبيئة والإطار الذي قيلت فيه هذه الأحاديث، ذلك حتى ندرك فيها ومنها المقاصد والعلل والحكم والغايات، فهي قد قيلت للمؤمنين كانوا محاطين بعبدة الصور والتمائيل الذين لم يؤمنوا بعد ... وصناع النسيج

والأوثان والأدوات - وهم في الأساس من غير العرب - كانوا يزينون مصنوعاتهم ومنسوجاتهم بصور الآلهة - (الأصنام) - ترويحاً لها في البيئة الوثنية .. ومن هنا كان النهي عن هذه " الصور " نهيًا عن الوثنية ودعوة إلى تنقية المنازل والأندية من صور الأصنام المعبودة في الجاهلية، وسعيًا لاجتثاث جذور المرض الوثني، وذلك حتى تبرأ هذه الجماعة البشرية تمام من الشرك والتعددية، فتخلص العبودية لله وحده، وترسخ في قلوبها عقيدة التوحيد ... ولذلك جاء النهي عن " الصور " التي تمثل الأحياء - وهي التي كانت تعبد - ولم يحدث نهي عن صور الشجر، أو تلك التي تحاكي الطبيعة، إذ لم تكن من المعبودات .. فالمستهدف ليس " الفن " ولا " الجمال " وإنما الوثنية والمساربات التي يمكن أن تؤدي إلى عودة الإشراف بالله مرة أخرى إلى عقائد الناس ...

في إطار هذه الحقائق نقرأ ونفهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صور صورة عذاب يوم القيامة حتى ينفخ فيها، ليس بنافخ .. " _ رواه البخاري _ أي حتى ينفخ فيها الروح فيحييها، وأنى له أن يصنع ذلك ولقد جاء رجل من أهل العراق، كان يجترع التصوير، جاء إلى عبد الله بن عباس، فقال له : " يا ابن عباس : إني رجل أصور هذه الصور، وأصنع هذه الصور، فأفتني فيها ؟ " فقال له ابن عباس : " أنبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله يقول : كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه في جهنم " ثم أستطرد ابن عباس فأشار على الرجل أن يصور ما لا حياة فيه، فيمارس " الفن الجميل " في غير ما هو مظنة الوثنية، مما جاء فيه النهي والتحريم .. فقال للرجل : " فإن كنت لا بد فاعلا، فاجعل الشجر وما لا نفس فيه .. " ٤٤٨ .

ولقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحكم وهذا الموقف موضع التطبيق، فقاد المسلمون حملة إزالة وتحطيم لصور المعبودات الوثنية وتمثيلها ... صنعوا ذلك بالمدينة - قبل فتح مكة وتطهير الكعبة ... ففي الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال : " أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا قبراً إلا سواه ولا صورة إلا لطخها ؟ فقال (سبعة) : أنا يا رسول الله، فانطلق، فهاب أهل المدينة، فرجع، فقال علي بن أبي طالب : أنا يا رسول الله، فانطلق، ثم رجع، فقال : يا رسول الله، لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا

448 . رواه الإمام أحمد .

صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دعا لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ... " ٤٤٩ .

فالإزالة والتحطيم - هنا - كانت لرموز وثنية، بما فيها القبور المعظمة وشواهدا ! ويوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب أن يتقدمه إلى الكعبة فيزيل من داخلها الصور والتمائيل المعبودة والمعظمة، والتي كانت تمثل إبراهيم وإسماعيل ومريم عليهما السلام ... فعن ابن جريج : " أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الصور في البيت، ونهى الرجل أن يصنع ذلك، وأنه أمر عمر بن الخطاب - زمن الفتح وهو بالبطحاء - أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها، ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيه ... " ٤٥٠

ويروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما رأى الصور في البيت - (يعنى الكعبة) - لم يدخل، وأمر بها فمحيت ورأى - (صور) - إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بأيديهما الأضلام، فقال : قاتلهم الله ! والله ما استقسما بالأضلام قط " ٤٥١ .

وفي البخاري أن عمر بن الخطاب كان يمتنع عن دخول الكنائس من أجل ما فيها من التماثيل والصور المعبودة " وكان ابن عباس يصلى في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل " .. فالنهي والتحريم - في النظرية والتطبيق - يستهدف مغان الشرك، وشراك الوثنية، والروافد التي تحفظ الحياة لنقيض عقيدة التوحيد، أو تغبش نقاء هذا التوحيد ! وليس التصوير أو النحت أو الرسم، كفن من فنون الجمال .. فالأول - مصادر الشرك ورموزه ومظانه - بينه وبين التوحيد الإسلامي العدا والتناقض القائم والصراع الذي لا يزول .. أما الفن التشكيلي - رسما ونحنا وتصويرا - فإنه لون من ألوان النشاط الجمالي للإنسان، يدور الحكم فيه والموقف منه مع علته وغايته ومنفعته وجودا وعدما، إن في الإباحة أو الاستحباب، أو المنع، كراهة أو تحريما ...

فإذا ما جننا إلى التجربة العملية - وأيضا الذاتية - لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصور، وفي داخل بيته، ومع أهله، رأينا الأحاديث التي تحكى هذه التجربة شاهدة على هذا الذي نقول، فعندما تكون الصور مظنة شبهة الإيحاء بتعظيمها، أو تمثل شاغلا يصرف المصلى

449 . رواه مسلم .

450 . رواه أحمد .

451 . رواه أحمد، (الأضلام هي السهام التي كان يستقسم بها المشركون في الجاهلية . كانوا يكتبون على أحدها أمر

وعلى الآخر نهي وعلى واحد منها فعل وعلى الثاني لا تفعل، ويستقسمون عند إرادة السفر أو القيام بعمل ما) .

عن الحضور المستغرق في صلاته ومثوله بين يدي مولاه، أو مظنة شبهة الإجماع بأن التوجه في الصلاة إنما هو إليها ! .. عندما يكون الأمر ذلك، أو نحوها منه، أو موهبا لشيء مما يحتويه، يكون في الرسول صلى الله عليه وسلم عنها، ودعوته لإزالتها .. فإذا ما تحولت هذه الصور عن أماكنها هذه، فزالت عنها تلك المظنة والشبهة، غدت مقبولة في بيت النبوة، بل أصبحت مما يستخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم ...

فعائشة - أم المؤمنين - تروى الحديث فتقول " قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر، وقد اشترت نطما (ثوبا من صوف - أو : بساطا) فيه صورة، فسترته على سهوة بيتي - (السهوة : الرف، أو الطاق، أو الكوة) فلما دخل صلى الله عليه وسلم كره ما صنعت، وقال : تسترين الجدر يا عائشة؟! فطرحته، فقطعته مرفقين (وسادتين) - فقد رأيتك متكئا على إحداهما وفيها صورة " ٤٥٢ .

فكراهة الرسول هنا للصورة قد ارتبطت بكونها ترفا يستهدف مجرد ستر الجدر ! .. وبكونها بهذا الوضع في مثل هذا الموقع مما يستقبله المصلي، فتشغله، أو توهم بمظنة استقبالها في الصلاة ! فلما انتقلت الصورة إلى الوسادة لم يكرهها رسول الله، ولم ينها عنها، بل استخدم الوسادة " فيها الصورة " كما تقول عائشة في الحديث !

ويؤكد هذا التفسير - هذا إذا كان محتاجا إلى تأكيد ! حديث الصحابي أنس بن مالك - وهو خادم الرسول صلى الله عليه وسلم، العارف بشئون منزله - الذي يقول فيه : " كان قرام (ستر) لعائشة قد سترت به جانب بيتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أميطي عنا قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي " ٤٥٣ فالنهى خاص ومعلل بمكان وضعه، والسبب في إزالته هو أن تصاويره تعرض أمام الرسول إذا قام للصلاة أي أن العلة هي قصد الابتعاد عما يشغل المصلي عن الصلاة، وإزالة كل ما من شأنه إيجاد شبهة مظنة التعظيم لغير الله .

ولذلك ... فعندما تزول هذه الشبهات وهذه المظان وهذه المخادير عن الصور والتمائيل، فإن الحكم فيها والموقف يتغير بالتأكيد، فليس القصد هو تحريم الصور والتمائيل، إذا كانت فنا جميلا يرتقى بالخاصة الفنية والمشاعر الجمالية للإنسان، مجرد أنها فن، وبعلة أنها صور وتمائيل .

452 . رواه أحمد .

453 . رواه أحمد .

وإذا كان القرآن الكريم - كما سبقت إشارتنا - قد حكي لنا نبأ التماثيل في عهد النبي سليمان - عليه السلام - باعتبارها نعماً إلهية، يصنعها صانعوها بإذن الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن سوق في الجنة كل بضاعتها الصور، صور النساء والرجال ! .. ففي الحديث الذي يرويه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أن الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال، فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها ... " فهي هناك لن تقود إلى الشرك أو وثنية .. ومن ثم فهي حلال .. بل ونعمة من نعم الله - سبحانه وتعالى - على الصالحين من عباده في جنات النعيم ..

بل إن مجتمع المدينة ذاته، ذلك الذي شهد التحريم للصور - نظريا وعمليا، وعندما كانت مظنة الشرك بالله والتعظيم لسواه - إن هذا المجتمع ذاته قد تغيرت نظرتة للصور والتماثيل عندما أخذ يبرأ من مرض الوثنية والتعدد في المعبود .. فعندما دخل المسور بن مخزوم على عبد الله بن عباس " يعبده في مرض مرضه، فرأى عليه ثوب إستبرق وبين يديه كانون عليه تماثيل، قال : والله ما علمت به، وما أظن رسول الله صلى الله عليه وسلم همى عنه إلا للتجبر والتكبر، ولسنا - بحمد الله - كذلك قال : فما هو الكانون الذي عليه الصور؟! قال ابن عباس : ألا ترى كيف أحرقتها بالنار؟! " ... " ٤٤٤ .

فابن عباس هنا يجتهد فيرى أن علة تحريم لبس الإستبرق هي التجبر والتكبر، فإذا زالت العلة زال التحريم ... ويجتهد كذلك فيرى أن علة تحريم التماثيل هي التعظيم لها أو شبهة التعظيم والعبادة لها من دون الله، فأما وقد وضعت حيث لا تعظيم لها، وأما وقد أمن الناس من مظنة عبادتها، وغدت مجرد حلية يتزين بها الكانون، فإنه لا تحريم .

وعندما يتزع الصحابي أبو طلحة الأنصاري نمطا (ثوبا من صوف - سترا) من على فراشه، فيسأله الصحابي - سهل بن حنيف : " لم تنزعه؟! فيقول : لأن فيه تصاوير، وقد قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت " يرد سهل بن حنيف قائلا : " أو لم يقل الرسول : إلا ما كان رقما في ثوب؟! " ٤٤٤٤٤٤ فتعلم من ذلك أن النهي ليس مطلقا، وأن ما كان مقصودا به منفعة الزينة والجمال - من الصور - وبعيدا عن شبهات مظان الوثنية والشرك والعبادة - كالصور إذا كانت " رقما في ثوب " أي نقشا يزينه ويجمله - فلا همى عنه، في هذا الحال، ولا تحريم له .

454 . رواه أحمد .

455 . رواه أحمد - (ومثله مروى عند البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه) .

إذن فالسنة النبوية - مثلها في ذلك مثل القرآن الكريم - لا تحرم الصور والتمائيل على التعظيم والإطلاق .. وإنما التحريم فيها - كالتحريم في القرآن - خاص ورهن ومشروط بالمواطن التي تصح فيها الصور والتمائيل شراكا للشرك وحبالا للوثنية وسبلا لتعظيم غير الله .. أما إذا كانت للمنفعة، وتجميل الحياة وزينتها المشروعة، وتخليد القيم الفاضلة وتركيبتها، وتنمية مشاعر الجمال الإنسانية، فإن موقف السنة النبوية يصبح معها لا ضدها ؛ لأنها - بذلك تنتقل من الأمور الضارة إلى حيث تصح واحدة من نعم الله على الإنسان

وموقف الفقهاء :

وإذا كان لنا أن نشير إلى موقف الفقهاء من هذه القضية ... قضية " الفن الجمالية " بعامة، و" فنون التشكيل " على وجه الخصوص .. فمن المهم أن نبه على أن بعضا من الفقهاء في فكرنا الإسلامي قد انحازوا إلى صف التحريم لهذه الفنون، بدءا من الغناء والموسيقى وانتهاء بالرسم والنحت والتصوير . وأن هؤلاء الفقهاء الذين اختاروا موقف " المنع .. أو الكراهة .. أو التحريم " قد وقفوا عند حرفية وظواهر المأثورات التي منعت أو حرمت هذه الفنون، رغم العلل التي قدحت وتقدح في صحتها، ولم ينحازوا إلى المأثورات التي أباحت هذه الفنون ... وذلك فضلا عن أنهم لم يقدموا التفسير الذي يربط المأثورات بملابسات قوله، وبالعلة والحكمة التي يجب أن يدور معها حكمه وجودا وعدما .. إن هؤلاء الفقهاء قد وقفوا هذا الموقف، لا غفلة منهم ولا تقصيرا - كما قد يحسب الذين يسيئون الفهم والتفهم - وإنما كان ذلك لأسباب .. في مقدمتها :

أ- أن هذه الفنون - في تاريخنا الحضاري - سرعان ما غلبت عليها علل المجون والتخنث وانحرافات الفساق، حتى غدت معاول للهدم وشراكا للترف الذي أصاب قوى الأمة وقدراتها بالتفكك والانحلال، حدث ذلك في دوائر الأمراء ... والسراة، والعامة على حد سواء .. بل لقد استخدم بعض الأمراء فنون الانحلال سلاحا يشل قدرات الأمة عن المعارضة والتطلع إلى السلطة والسلطان !

ب - أن التصرف الفلسفي - ذا المنطلقات والجذور " الغنوصية الباطنية " وقد ذهب به الغلو في استخدام " السماع " و " الوجد " وذهبت به تصورات " الحلول " و " الفناء " و " وحدة الوجود " إلى الحد الذي جعل هؤلاء الفقهاء - وهم الأعداء الألداء لهذا التصرف - يرون في هذه الفنون شراكا تغبش عقائد الأمة وتعطل طاقات الإبداع لدى أبنائها - لقد عادت هذه الفنون -

بنظر هؤلاء الفقهاء - مرة أخرى إلى دائرة المنع والتحریم عندما دارت علل الإحكام فيها إلى دائرة الضرر المحقق، أو المحتمل على العقائد والشرائع، كما كان الحال عندما ظهر الإسلام .. تلك هي - في تقديرنا - أسباب انحياز نفر من فقهاء تلك العصور، التي غلبت على فنونها هذه التحولات، انحيازهم إلى القول " بالتحریم " .. وهي أسباب تؤكد على صدق المنهج الذي به موقف الإسلام في هذه الفنون ...

ومع ذلك فإن التاريخ الفكري للفقهاء والفقهاء - في حضارتنا لم يخل من مواقف فكرية - بل وممارسات عملية - ايجابية لعدد من أعلام الفقه والأصول إزاء هذه الفنون .. لا الغنائية فقط، كما أسلفنا الإشارة إلى نماذجهم - كابن حزم والغزالي مثلا - وإنما أيضا إزاء فنون التشكيل .. إن قطاعا هاما من المفسرين للقرآن، ومن الفقهاء قد أباحوا التصوير والنحت، إذا كانت لهما ضرورة اجتماعية أو تربوية .. وعلى سبيل المثال :

* فالمفسر : النحاس، أحمد بن إسماعيل المرادى (٣٣٨ هـ / ٩٥٠ م) يحدثنا عن قوما من المفسرين والفقهاء قد قالوا : " إن عمل الصور جائز "، وأنهم استدلوا بالآية التي جعلت من صنع التماثيل لنبي الله سليمان نعمة الله ﴿ يَعْْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ ﴾ واستدلوا كذلك بصنع المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - بأمر الله، لتماثيل الطير ﴿ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فبعيسى قد صنع تماثيل للطير من الطين، وجاز ذلك عندما لم تكن شبهة وثنية تلحق بالعقائد بسبب هذه التماثيل ويحدثنا المفسر الأندلسي : مكّي بن حيموش (٣٥٥-٤٣٧ هـ / ٩٦٦-١٠٤٥ م) في كتابه (الهداية إلى بلوغ النهاية) وهو سبعون جزءا في معاني القرآن وتفسيره - يحدثنا عن " أن فرقة تجوز التصوير " مستدلة بهذه الأدلة ذاتها ^{٤٥٦} .

والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري (٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م) يشير إلى اجتهاد فقهاء المذهب المالكي بجواز التماثيل عندما تقضيها ضرورات التربية، وذلك مثل تربية البنات، التي تستدعى تعويدهن على اللعب بالدمى - من " عرائس " وغيرها - فيقول : " .. وقد استثنى من هذا الباب - (باب الخلاف في التحريم .. أي أن هذا المستثنى متفق على حله) - لعب البنات - لما ثبت عن عائشة أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين، وزفت إليه وهي بنت تسع، ولعبها معها .. قالت : كنت ألعب بالبنات - (أي اللعب

456 . الجامع لأحكام القرآن ج ٤، ص ٢٧٢ .

- الدمى - العرائس) - عند النبي، كان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله إذا دخل ينقمعن - (أي يتغيبن محتفيات وراء الستر) - منه، فيسريهن (يبعثن) - إلي فيلعبن معي؟^{٤٥٧}

فعائشة، أم المؤمنين، تلعب بعرائسها - وهى دمى وتمائيل لإحياء آدمية - مع صواحبها .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى، ويرضى، بل يبعث لها بصواحبها يلاعبنها إذا هن اختبأن حياء منه ..

وفي (طبقات ابن سعد) ما يفيد تنوع هذه الدمى، فلقد كانت فيها دمى للخيل أيضا - وهى الأخرى صور أحياء - فعن عائشة، قالت : " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، وأنا ألعب بالبنات، فقال : ما هذا يا عائشة ؟ فقلت : خيل سليمان . فضحك " ^{٤٥٨} .

ثم يعقب القرطبي على هذه القضية، فيحكى أن العلماء قد أباحوا الدمى واللعب بها والدور الذي تقوم به فى التربية، وخاصة تربية البنات " حيث يتدربن على تربية أولادهن " منذ الصغر التي تنشأ بينهن وبين الدمى : العرائس والأطفال، فعندما تكون المنفعة _ مادية أو جمالية أو هما معا _ فإن الاجتهاد الإسلامى يزكى إباحة فنون التشكيل ...

بل إننا واجدون لدى مجتهد آخر من مجتهدي المذهب المالكي ما هو أكثر من إباحة الصور والتماثيل - التي تتطلبها مصالح الأمة العملية وتنمية معارفها العلمية وتربية حاستها الفنية وتهذيب طباعها وسلوكها - . واجدون لدى الفقيه الأصولي الإمام القرافي : أبو العباس أحمد بن إدريس (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) الاشتغال بفن النحت والتصوير، وليس مجرد الإفتاء بإباحته فقط ! فلقد تحدث عن ممارسته لفن صناعة الدمى والتماثيل فقال في كتابه (شرح الحصول) : { ... بلغني أن الملك الكامل (٥٧٦ - ٦٣٥ هـ / ١١٨٠ - ١٢٣٨ م) وضع له شمعان - وهو عمود طويل من النحاس له مراكز يوضع عليها الشمع للإنارة - كلما مضى من الليل ساعة انفتح الباب منه وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات - (أي حان وقت الفجر) - طلع الشخص علي أعلى الشمعدان، وأصبعه في أذنه، وقال : صبح الله السلطان بالسعادة، فيعلم أن الفجر قد طلع .. }

يحكي الإمام القرافي عن هذا الشمعدان الذي استخدمت فيه التماثيل - تماثيل الإنسان - آلة

457 . رواه مسلم والبخاري وابن ماجه .

458 . طبقات ابن سعد ج ٨، ص ٤٢، طبعة دار التحرير، القاهرة .

يقاس بما الزمن، وفيها الحركة والصوت معاً .. ثم يعقب فيتحدث عن تجربته هو في صنع شمعدان مائل، به إلى جانب تمثال الإنسان، تمثال أسد، فيقول : " ... وعملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه : أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، فإذا طلع شخص على أعلى الشمعدان، وأصبعه في أذنه، يشير إلى الأذان - غير أبي عجزت عن صنعة الكلام " ٤٥٩ .

فهنا .. فقيه مجتهد، أصولي بارز، يمارس صناعة الفن التشكيلي، فكان مثلاً يصنع تماثيل الإنسان والحيوان، وفي صنعته هذه تتابع وتتعدد الألوان .. جمالاً ينفع الإنسان المنفعة المادية والجمالية كليهما .

وهكذا .. فإلى جانب الذين منعوا التصوير والنحت - في تراثنا الفقهي - كان هناك الذين أباحوا هذا الفن، بعد أن أمنت الأمة خطر الشرك وعبادة التماثيل والصور . بل كان هناك الفقهاء المجتهدون الذين مارسوا هذه الصناعة، فكانوا (فقهاء - مجتهدين - فنانين) .

وفى العصر الحديث :

عندما شرعت مدرسة التجديد والإحياء الديني تزيل عن الفكر الإسلامي غبار عصور الجموح والتراجع الحضاري - المملوكية العثمانية - وجدنا واحداً من أبرز مهندسي ذلك التجديد، وهو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) يطرق هذا الباب، باجتهاده وتجديده، فيعلن مباركة الإسلام للفنون الجميلة، منبهاً على دور فنون التشكيل - رسماً ونحتاً وتصويراً - دورها النافع والضروري في تسجيل الحياة وحفظها، وفي ترقية الأذواق والحواس، والاقتراب بالإنسان من صفات الكمال ..

ولقد عرض الأستاذ الإمام لهذه القضية - قضية دور " الفنون التشكيلية " في حياة الأمة - أثناء سياحته في جزيرة " صقلية " سنة ١٩٠٣ ففي " صقلية " زار المتاحف والمقابر ومواطن الآثار التي تحفظ وتحكى - بالصور والتماثيل آثار الغابرين، كأنهما من سجلات التاريخ .. كان يرسل إلى مجلة (المنار) فصولاً يحكى فيها مشاهداته في رحلته، وفي هذه الفصول كتب عن هذه الفنون، وعرض لرأى الإسلام في الصور والتصوير والرسم وصناعة التماثيل ..

والذين يتأملون الصفحات التي كتبها الأستاذ الإمام حول هذه القضية، يطالعهم الشيخ ذواقة

459 . مقدمة تحقيق (الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام) ص ١٥ .

للفن، عاشقا للإبداع الفني، مبصرا الخيوط التي تربطه بفنون العرب المألوفة لعامة الناس، الأمر الذي يضيف إلى تجديده في الدين والآداب واللغة وأساليب الإنشاء قسمة أخرى تجعل له فضلا لا ينكر في السعي لتجديد حياة الأمة بمختلف سبل التجديد، ومنها الفنون .. فهو يتحدث - في شاعرية راقية - عن الرسم كفن يضاهاى الشعر - الذي هو ديوان الأمة العربية منذ القديم - غير " أن الرسم : شعر ساكت، يرى ولا يسمع، كما أن الشعر : رسم يسمع ولا يرى . ثم يعرض للحديث عن منافع هذه الفنون ودورها في حفظ تراث الأمة، وما يعنيه ذلك من حفظ للعلم والحقيقة والتاريخ، كي تظل شاهدة فاعلة لمن يأتي من أجيال " فحفظ الآثار - الرسوم والتماثيل - هو حفظ للعلم والحقيقة، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها ... ثم يأتي الأستاذ الإمام إلى القضية الشائكة والخلافية .. قضية موقف الإسلام من هذه الفنون وأصحابها، فيبدل بالقول الفصل في فائدتها - ومن ثم حلها - وذلك لتغير الملابس والمقاصد التي دعت إلى نفور المسلمين منها في عصر البعثة النبوية، يوم كانت الرسوم والصور والتماثيل إنما تتخذ كي تعبد من دون الله، أو على الأقل كانت مظنة شبهة لتعظيمها دينيا، فكان أن نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم أما الآن، وبعد زوال الخطر بالكلية، وبعد أن لم تعد الرسوم والتماثيل مظنة شبهة العبادة أو التعظيم الديني، وبعد أن وضحت وتأكدت منافعها في ترقية أذواق الأمة، حفظ حقائق تاريخها وعلومها، فإن رضاء الإسلام ومباركته لها أمر لا شك فيه .. والأستاذ الإمام عندما صاغ اجتهاده هذا وسطر لنا تجديده في هذا الميدان، كان يوجه حديثه إلى الناس عبر الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) صاحب مجلة (المنار) .. وكانت (المنار) تنشر هذه الفصول التي يصف فيها مشاهد سياحته دون توقيع . كان يتولى يومئذ منصب " مفتي الديار المصرية " ويتربع على عرش الإمامة والاجتهاد في طول بلاد العالم الإسلامي وعرضها ..

وفي هذه الفصول أخذ الشيخ محمد عبده يتحدث إلى الشيخ رشيد رضا عن هذه القضية، فقال - بعد وصفه لما شاهد من الرسوم والتماثيل في متاحف " صقلية " وأديرتها وكنائسها ومقابرها وميادين مدنها، وبعد حديثه عن دور هذه الرسوم والصور والتماثيل في " حفظ العلم " وتخليده " ... قال " وربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام، وهي ما حكم هذه الصور في الشريعة الإسلامية، إذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هينات البشر في انفعالاتهم النفسية، وأوضاعهم الجسمانية؟ هل هذا حرام؟ أو مكروه؟ أو مندوب؟ أو واجب؟ .. فأقول لك :

إن الراسم قد رسم، والفائدة محققة لا نزاع فيها، ومعنى العبادة وتعظيم التماثيل أو الصورة قد محى من الأذهان، فإما أن تفهم الحكم من نفسك، بعد ظهور الواقعة، وإما أن ترفع سؤالاً إلى " المفتي "، وهو يجيبك مشافهة - (لاحظ أن المفتي هو المتكلم . وهذا جوابه !؟) .. فإذا أوردت عليه : " إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون "، أو ما في معناه مما ورد في الصحيح، فالذي يغلب على ظني أنه سيقول لك : إن الحديث جاء في أيام الوثنية، وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسبيين، الأول : اللهو . الثاني : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين . والأول مما يبغضه الدين، والثاني مما جاء الإسلام نحوه، والمصور في الحالين شاغل عن الله، أو مههد للإشراك به، فإذا زال هذان العارضان، وقصدت الفائدة، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات، وقد صنع ذلك في حواشي المصاحف، وأوائل السور، ولم يمنعه أحد من العلماء، مع أن الفائدة في نقش المصاحف موضوع النزاع، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه، على الوجه الذي ذكر.

أما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور، طمعا في أن الملكين الكاتين، أو كاتب السيئات على الأقل لا يدخل محلا فيه صور، كما ورد، فأياك أن تظن أن ذاك ينجيك من إحصاء ما تفعل، فإن الله رقيب عليك وناظر إليك حتى في البيت الذي فيه صور، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك إذا تعمدت دخول البيت الذي فيه صور .

ولا يمكنك أن تجيب المفتي : بأن الصورة - على كل حال - مظنة العبادة، فإني أظن أنه يقول لك : عن لسانك - أيضا - مظنة الكذب، فهل يجب ربطة ؟!، مع أنه يجوز أن يصدق، كما يجوز أن يكذب ؟..

وبالجملة، فإنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل، ليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صور الإنسان والحيوان لتحقيق المعاني العملية وتمثيل الصور الذهنية ...

هكذا صاغ الأستاذ الإمام - في الفنون التشكيلية - ما يشبه الفتوى الشرعية، فقرر أنها أداة لحفظ الحقيقة العلمية والتاريخية، بل " وسيلة من أفضل وسائل العلم " وأنها فنون راقية، ترتقي بذوق الإنسان، كما يرتقى به فن الشعر، وغيره من الفنون التي ليس على الإبداع فيها كلام ولا ملام في الإسلام ..

وهو بذلك قد كتب صفحة في كتاب التجديد الإسلامي .. تجديد حياة الأمة بتجديد الفكر الذي يحكم هذه الحياة ..

و بعد

فهل هناك شك - الآن، وبعد هذا الذي سقناه عن موقف المنهج الإسلامي من آيات الجمال في الإبداع الإلهي، ومن ثم من الفنون الجميلة، التي ترتقي بالذوق والحس الإنساني ليدرك آيات الجمال هذه، فيرتقى على سلم الشكر لصانع هذا الجمال .. هل هناك شك - بعد هذا الذي قدمناه - في أن موقف المنهج الإسلامي من هذه الفنون الجميلة من تذوقها، وممارستها - هو موقف الود والتعاطف، والتزكية والمباركة ؟ .. وذلك على الرغم من شيوع مواقف ومقولات المخاصمة المفتعلة بين الإسلام وبين هذه الفنون ؟ ..

إن الإسلام لا يخاصم الجمال، ولا يعادى فنونه . والمسلم الأمثل لا يمكن أن يكون ذلك المتجهم الذي يترع

عن جماليات الحياة " مباركة الإسلام " فقط هناك المعايير الإسلامية - الاعتقادية والأخلاقية - التي يجب أن تحكم موقف المسلم تجاه هذه الفنون، حتى تظل مصدرا حقيقيا للخير والجمال في حياة الإنسان ..

• فالإقتصاد والاعتدال في الاشتغال بهذه الفنون، وفي ترويحها مطلب إسلامي، وذلك حتى لا يحتل توازن اهتمامات الأمة بمختلف نواحي وميادين النشاط اللازم لتكامل وتنمية طاقات وملكات وحياة الإنسان، وإن الإقتصاد والاعتدال - الذي ينفى وينكر طرفي الغلو - هو ميدان الإسلام ومعياره في كل ميادين النشاط الإنساني .. فالقرآن يأمرنا به ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ٤٦٠ .. ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ٤٦١ .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا البلاغ القرآني في بيانه النبوي فيقول : " كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة " .. ويتحدث إلى من غالى في العبادة والنسك، فصام النهار وقام الليل مهملا زوجته ودينه، فيقول : " .. إني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس

460 . سورة الأعراف آية رقم ٣١ .

461 . سورة القصص آية رقم ٧٧ .

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " ٤٦٢ .. و " وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك - (أي زائريك) - عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً " ٤٦٣

* إن انفعال النفس الإنسانية بجماليات الحياة هو فطرة فطر الله الإنسانية السوية عليها والإسلام يريد لكل الفنون - حتى تكون بحق جزءاً من جماليات هذه الحياة - أن لا تعاند الفطرة الإنسانية، بل أن تكون عوناً على ترقيتها وتهذيبها ويريدها سبلاً لتهديب النفس والارتقاء بملكات وطاقت وغرائز الإنسان .. ولا يريد لها عوامل تحلل والخلل ومعاول هدم وإثارة لغرائز العنف والغضب والشهوة واللذة المادية في الإنسان يريد لها فناً جميلة ومتجملة بأخلاقيات الإسلام ...

* وإذا كان لكل شعب من الشعوب فنونه الموروثة، والتي غدت وتغدو سمة من سمات تميزه القومي عن الشعوب الأخرى، فإننا نريد للفنون الموروثة لشعوب الأمة الإسلامية وقومياتها أن تخضع لما خضعت له الموارث الفكرية لهذه الشعوب عندما دخلت دين الإسلام - واندجحت في أمة الإسلام .. نريد لهذه الفنون أن " تحيا " وأن " تتطور " وفقاً لمعايير الإسلام في الاعتقاد .. وفي الذوق الجمالي .. وفي الأخلاقيات ولا يريد لها أن تكون " تقليداً " لفنون حضارات أخرى، لا تتخلق بأخلاق حضارة الإسلام .. ولا أن تكون " مسخاً مشوهاً " لفنون تلك الحضارات .

* وإذا كانت المهمة الأولى للفنون الجميلة في حياة الإنسان هي الارتقاء بروحه على درب الإدراك والاستماع بآيات الجمال الإلهي في هذا الكون فإن الإسلام يتقدم على هذا الدرب خطوات أبعد، ليجعل من هذه الفنون سبيلاً من سبل التي تصوغ " الإنسان - الرباني " الذي يدرك معنى أن الله " جميل " وأن " ربانية " الإنسان رهن بشوقه وتعلقه وسعيه على درب التخلق بالأخلاقيات الجميلة، درب الوعي بالجمال الإلهي المبتوث في هذا الوجود .. وأيضاً الاستماع بلذات هذا الجمال .

ومع هذه المهمة الإسلامية للتربية الجمالية، وللفنون الجميلة في حياة الإنسان المسلم، فإن للمنهج الإسلامي رسالة يطلب من هذه الفنون أن تنهض بدورها في أدائها ... رسالة الإسهام في حفظ الفكر ونشر الدعوة بواسطة هذه الفنون ...

إنها سلاح فعال في البلاغ إلى الناس .. ومن الممكن - بل الواجب - أن تكون - كفنون

462 . رواه البخاري .

463 . رواه البخاري .

القول - أداة للبلأغ المبين برسالة الإسلام ..

* وبالإضافة لكل ما تقدم يجب التنويه إلى نقطة هامة جداً وهى أنه ليس معنى تأييد الفن أن يكون هناك تأييد من بعيد أو من قريب لشكل الفن الذي يعرض الآن فالابتدال والإسفاف اللذان يجيمان على الفن الحالي لا يمكن تصوره أنه فن من الأصل فهو يعتبر وسيلة رخيصة لإثارة الغرائز المادية والجنسية لدى الإنسان ووسيلة لموت الإنسان الرباني كما أنه يقوم بدور فعال وراء ارتفاع معدل الجريمة في المجتمع وأيضاً ارتفاع السلوك العدواني لدى الأطفال خصيصاً، مما يؤدي في النهاية حتماً إلى الإخلال بقواعد الحقوق والالتزامات للإنسان فتجده مختل نفسياً وغير متوازن نتيجة الفن المدعم بالسموم الجنسية وإثارة الغرائز المكبوتة سواء العنف أو اللذة المادية في الإنسان .

لذلك فإن الأغنية المبتدلة أو التمثيل المسف - سواء سينما أو مسرح أو تليفزيون - كل هذا مرفوض بأي شكل من الأشكال .